MUDALLA : PROCEEDING INTERNATIONAL CONFERENCE ON ARABIC LANGUAGE
ISSN : 2807-8780
(MUDALLA)
المؤتمر الدولي للغة العربية وآدابها وتعليمها
قسم الأدب العربي جامعة مالانج الحكومية

اللسانيات العرفانية و تعليمية النظام الإعرابي العربي

- تعاضد التركيب و الدلالة و التداول-

نجوى فيران
((جامعة سطيف2 / قسم اللغة والأدب العربي/ كلية الآداب واللغات/ الجزائر
البريد الإلكتروني **nadjwafirane1@yahoo.com** :

Abstract

The production of meaningful grammatical structures is fundamentally linked to stored mental concepts and open-ended cognitive systems called mental spaces. From this standpoint, the research seeks to demonstrate the extent to which Arabic grammar and the inflectional system can be adapted and relied upon by a cognitive approach that focuses on its syntactic, semantic, and pragmatic functions. The research concluded that the cognitive approach is one of the most effective approaches that revealed the secrets of the Arabic inflectional system, which other approaches surpassed when they separated grammar from semantics.

Keywords **Grammar; Cognitive Liguistics; Mental Spaces Theory; Conceptual Metapha Theory ; Conceptual Blending Theory.**

6(1), (2026), 320-345

مستخلص البحث

فسرت اللغة في عرف اللسانيات العرفانية بأنّها ظاهرة ذهنية نفسية يتطلّب إدراكها فهم علاقتها بباقي الظواهر الذهنية كالإدراك والذكاء و التفكير، لذلك فقد رفض العرفانيون فكرة أنّ اللغة استجابات مشروطة لمنبهات خارجية فهي وليدة قواعد مبرمجة مسبقا في عقولنا، لذلك ربطوا السلوك اللغوي بالنسق التصوّري، كما أعادوا العلاقة الوثيقة بين النحو و الدلالة فإنتاج التراكيب النحوية الدالة مرتبط أساسا بتصوّرات ذهنية مختزنة و بنظم معرفية مفتوحة المجال يطلق عليها الفضاءات الذهنية .

من هذا المنطلق يسعى البحث إلى بيان مدى قدرة النحو العربي و النظام الإعرابي أن يطوّع و يرتكن لمقاربة عرفانية تركز على وظائفه التركيبية و الدلالية و التداولية ، و وصل البحث إلى أن المقاربة العرفانية من أنجع المقاربات التي كشفت أسرار النظام الإعرابي العربي التي تجاوزتها غيرها من المقاربات حينما فصلت النحو عن الدلالة.

كلمات أساسية: **الإعراب؛ اللسانيات العرفانية؛ الاستعارة التصورية؛ الفضاءات الذهبية؛ المزج المفهومي.**

المقدمة

جاءت العرفانية كعلم يبني حديث لإعادة النظر في مفهوم اللغة وآليات اكتسابها وطرائق تعليمها وتعلّمها من خلال ربطها بالعمليات العقلية والذهنية المختلفة كالإدراك والتذكّر، التصوّر والاستدلال...

يحاول البحث الإجابة عن إشكالية رئيسة تضمّنها السؤال التالي: كيف يتمّ استثمار المنتج العرفاني في تعليمية اللغة العربية وفي تعليمية الإعراب على وجه مخصوص من خلال التركيز على الإعراب الاستعاري وإعراب المحمولات.

ويفترض البحث أنّه يمكن تطبيق الميكانيزمات العقلية والذهنية الّتي ينتج بها العقل اللغة لتجويد تعليمية النظام الإعرابي للغة العربية والوصول إلى مخرجات تعليمية هامّة.

انتهج البحث في سيرورته المعرفية المنهج الوصفي القائم على التحليل كأداة فعّالة لتحقيق أهدافه المسطرة، مستندا على مجموعة من الدراسات البحثية السابقة، منها: دراسة رفيق بن حمودة الموسومة بـــ"المبادئ العرفانية وتعليم النحو" المنشورة سنة 2019 ودراسة توفيق قريرة: "الاسم والاسمية والأسماء في اللغة العربية -مقاربة نحوية عرفانية -الّتي ركّزت على تعليمية بعض الظواهر النحوية من خلال الاستنجاد بالمقاربة العرفانية كآلية للتطبيق. و امتازت الدراستان بالطابع النظري أكثر رغم أنّ دراسة توفيق قريرة اتخذت من الأسماء نموذجا للتطبيق من خلال بيان قابلية هذه الأسماء للقولبة العرفانية ، و لم يتجاوز هذا التحليل الطابع الشكلي التركيبي دون مزاوجة الجانبين الدلالي و التداولي الذي تسعى المقاربة العرفانية لاستثماره، و هذا ما سعت هذه الدراسة لتحقيقه من خلال تطبيق الفكرة القائلة أنّ التحليل العرفاني للنحو العربي يساوي بين التركيب والصرف والدلالة و المعجم من خلال الاعتماد على الذهن وعلى العمليات ، وهي الفكرة الّتي انطلق منها **لانغاكير (Langacker)** لبناء نظريته الّتي سمّيت **بنظرية النحو العرفاني**.

طريقة البحث

1. العلوم العرفانية:

1. 1. الإرهاصات والنشأة: وأطلق عليها أيضا اسم المعرفية الإدراكية العرفنيّة...، وترتبط نشأة العلوم المعرفية بالمؤتمر الّذي نظّم سنة 1946 وتبعته مؤتمرات أخرى جمعت بين

باحثين في الفيزيولوجيا وعلم الأعصاب والإعلام الآلي والرياضيات، وانجرّ عن ذلك "تبنّي برنامج بحثي مشترك حول العلوم المعرفية، وبشكل خاص الذكاء البشري ومختلف العمليات العقلية الّتي تحدث على مستوى دماغ الإنسان وعلاقته بالآلة"(الباهي، 32،2012) ، فقد مثّل منتصف الخمسينات من القرن العشرين نقطة تحوّل في ظهور العرفنة، لتكتسب مظهرا أكثر تنظيما ومؤسّسيا في منتصف السبعينيات، وذلك بعد تأسيس جمعية العلوم العرفانية وإصدار مجلة تحمل الاسم نفسه.

وتعدّ سنة 1975 منعطفا هاما في تأسيس العرفانية من جورج لاكوف (George Lakoff) الّذي استخدم المصطلح لأوّل مرة، والّذي أكّده أكثر في كتابه الّذي تشارك فيه مع جونسون(Johnson) والمعنون بـ: "الاستعارات الّتي نحيا بها" سنة 1980.

وبظهور العرفانية كسرت القيود الّتي فرضتها النظرية السلوكية، فاجتمعت هذه الأفكار البحثية في "ثالوث من الاختصاصات هي: الذكاء الاصطناعي وعلم النفس وعلم الأعصاب، وبتقارب هذه الاختصاصات وتلاقحها أنتجت ما يسمى بالعلوم المعرفية" (عمراني، 2020، 543) ، الّتي ركّزت على مصطلحات عدّة كالإدراك والتذكّر والاستدلال...، وأبرزت تفكيرا جديدا لتيار أكثر نجاعة في تجديد النظرة حول كيفية معالجة المعلومات واسترجاعها ،حيث أكّدت العلوم العرفانية على فكرة أساسية تتمثّل في "توضيح كيفية اشتغال العقل وبيان كيف يكتسب المعرفة ويطوّرها ويستعملها اعتمادا على الحالة الذهنية"(حمو الحاج ، 2014، 114) ، فتهدف العرفانية إلى دراسة المعرفة بكلّ أشكالها من خلال التركيز على الآليات الّتي تقوم ببنائها وتطويرها، وتعنى بمعالجة المعلومات بغضّ النظر إن كانت بشرية أم خاصة بالآلة.

1. 2. تعريف العرفانية: تشير العلوم العرفانية(Cognitive science) إلى "جملة من العلوم الّتي تدرس اشتغال الذهن والذكاء دراسة أساسها تضافر الاختصاصات، تساهم فيها الفلسفة وعلم النفس والذكاء الاصطناعي وعلوم الأعصاب(علوم الدماغ) واللسانيات و الأنثربولوجيا، وتدرس العلوم العرفنيّة الذكاء عامةً والذكاء البشري وأرضيته البيولوجية الّتي تحمله، وتعنى كذلك بمنولته، وتبحث في تجلّياته النفسية واللغوية
و الأنثروبولوجية" (الزناد ، 2010، 15)

فالعرفانية إذن لا تنحصر في علم دون آخر، بل هي كلّ العلوم الّتي تجعل من الذهن موضوعاً لها ولدراستها بالرغم من اختلاف منطلقاتها ومناهجها، لأنّها كلّها تهدف إلى فهم المظاهر الذهنية والحسية الّتي تطرأ على النفس البشرية، كاشفة عن أسرارها بدراسة معمّقة للذهن، لذلك فإنّ مجال العرفانية واسع يشمل كلّ قدرات الذهن البشري بما في ذلك اللغة والاستدلال، الإدراك والتخطيط والنشاطات الحسية والحركية، فهي بهذا "تآلف مجموعة من العلوم المستقّلة بعضها وصفي تجريبي (علم النفس المعرفي، اللسانيات، والأنثروبولوجيا المعرفية...) وبعضها نظري(كالفلسفة)، وبعضها نظري تطبيقي(الذكاء الاصطناعي)

وكلّها تلتقي وفق برنامج محدّد حول دراسة آليات اشتغال الذهن البشري"(عشير ، 2006، 25) ، وتلتمس العلوم المعرفية أجوبة مفصلة عن عديد الأسئلة الّتي حدّها **لاكوف** مثل: ما الذهن؟ كيف نضع إدراكا لتجربتنا؟ ما هو النظام المفهومي وكيف ينتظم؟ هل كلّ البشر يستعملون النظام المفهومي نفسه؟ وإن كان كذلك فما هو ذلك النظام؟ فإن لم يكن فما هو بالضبط المشترك في طريقة تفكير كلّ البشر... (لاكوف ، 2015، 167) وغيرها من الأسئلة الّتي تعدّ جوهر البحث العرفاني الّذي يتّخذ من العقل البشري مادته، من خلال دراسته من جوانب عدّة كوظائف الذهن وآلياته الّتي تقوم عليها عمليات الإدراك والتصوّر، كما تدرس العلوم العرفانية الجانب العصبي للدماغ الّذي يسمح بحدوث وظائف الدماغ بالرغم من مستوى التعقيد الّذي يعرفه.

وإجمالًا، لا ترتبط العلوم العرفانية بدراسة العمليات العقلية الّتي تعدّ عمادها معالجة المعلومات كالأفكار الواعية والحالات العقلية المتعمّدة كالمعتقدات والرغبات، بل تتّسع لتضمّ دراسة العمليات العقلية غير الواعية واللاإرادية مثل معالجة عقولنا للتجارب وتصنيفها وجمعها في صيغة خبرة" Friendenberg, 2006, P 3)) وعلى هذا الأساس يمكن وصف العقل البشري ضمن الفكر العرفاني بأنّه معالج معلومات خاص يبحث في ذكاء الكائنات المعرفية ويركّز على مظاهر وعملياته النفسية.

تشكّلت العلوم العرفانية من:

- علم النفس العرفاني(Congnitive psychology): وهو علم يعنى "بجميع العمليات العقلية الّتي يمارسها الفرد عندما يستقبل المعلومات ويعالجها ويرمّزها ويخزّنها ثمّ يسترجعها عند الحاجة"(حيدر نوري ، ص03)، إذ يعتمد علم النفس المعرفي بشكل كبير على الأساليب الفنية التجريبية الّتي نمت في كنف المجال السلوكي في علم النفس والّتي تهدف إلى دراسة السلوك، لذلك فهو أهمّ فروع علم النفس العام الّذي جاء ليركّز على محاولة فهم ما يجري داخل عقل الإنسان من عمليات مختلفة قبل حدوث الاستجابة ومحاولة فهم كيفية تناول الإنسان للمعلومات وتكوين المعرفة، من خلال شرح آلية اكتساب المعلومات وتمثيلها وتحويلها إلى معرفة، ثمّ استرجاعها مرة أخرى لحل مشكلات حياتية، ولا يكون ذلك إلّا بالتركيز على هذه العمليات من: انتباه وإدراك وتذكّر، تفكير...، وهذا ما يؤكّده عدنان العتوم موضحًا حدود هذا العلم: " هو علم دراسة العمليات المعرفية الّتي تتضمّن استقبال المعلومات وتحليلها وتنظيمها وخزنها لوقت الحاجة، أو لتوجيه استجابة الأفراد المباشرة، وينطوي هذا المفهوم لعلم النفس المعرفي على الاهتمام بالمعرفة والمعلومات وكيفية استقبالها وتحليلها وتخزينها ضمن نظام متكامل يستند إلى مفاهيم الذاكرة، البنية المعرفية المتطوّرة للإنسان، وقدرات الإنسان المعرفية المختلفة كالذكاء والقدرة على حلّ المشكلات"(العتوم ، 2012، ص25) ، لذلك يمك القول إن المقاربة النفسية السلوكية تشتغل على تحليل العلاقة بين المثير الملاحظ والاستجابة الملاحظة بينما تشتغل المقاربة النفسية المعرفية(العرفانية) على تحديد العمليات الذهنية الحاصلة بين

المثير والاستجابة، لذلك يقوم علم النفس المعرفي على مجموعة من المفاهيم الأساسية أهمّها: (باشا، 2020، ص138-139) معالجة المعلومات، التمثيل الذهني القائم على الأفكار القبلية، مراحل التحليل والمعالجة، قياس الزمن الذهني(قياس أزمنة التفاعل والاستجابات)...

- علم الأعصاب العرفاني(Congnitive Neuroscience): ترتبط العلوم العصبية بالدراسة التشريحية والفسيولوجية للنظام العصبي، أمّا العلوم العصبية العرفانية فتهدف إلى تفسير البنى والعمليات الفيزيولوجية الّتي تقوم عليها الوظائف العرفانية الخاصة من مثل الذاكرة والإدراك والانتباه وغيرها ،إذ تعمل على كشف وتفسير العمليات العصبية عبر تشريح الجهاز العصبي البشري، وفهم تلك الترابطات العصبية الّتي تسمح بحدوث العمليات العصبية العرفانية، هادفة إلى ربط كلّ عملية عرفانية بعملية عصبية تحدث على مستوى الجهاز العصبي"(سعودي ، 2023 ،ص 12)

- الذكاء الاصطناعي(Artificial Intilligence): و"يسمح الذكاء الاصطناعي لأجهزة الكمبيوتر أو الآلات والروبوتات بمحاكاة قدرات الإنسان مثل: اتخاذ القرارات، والتعرّف على الأشياء وحلّ المشكلات وفهم اللغة"(البلقاسي ، 2024، ص12) ، وما يجعل الذكاء الاصطناعي(**AI**) أحد أهمّ العلوم المساهمة في بناء العلوم العرفانية اهتمامه بأغلب الميادين الّتي تعقد عليها العرفانية بحثها، كالبحث في سيرورة العمليات الذهنية كالذاكرة وحلّ المشكلات والتفكير وغيرها الّتي يعمل الذكاء الاصطناعي على فهم حدوثها باستعمال الآلة(الحاسوب)،انطلاقا من تصوّر التشابه في معالجة المعلومات بين الحاسوب والذهن البشري، من جهة أخرى يقع الذكاء الاصطناعي ضمن حقل العلوم العرفانية الّتي تتسم بالتشعّب، فهو يضمّ علماء متخصّصين في علم النفس و البيولوجيا، علم الأعصاب، اللسانيات، علم الكمبيوتر، الرياضيات...، ونتيجة هذا التشعّب أضحت العلوم العرفانية "تدرس طريقة اشتغال مخ الإنسان والكائنات والآلات، أي دراسة السلوكات الذكية الّتي تعود الجهود العلمية في تفسيرها بالفائدة على أجهزة الكمبيوتر من حيث تطوير أدواتها، والرقي أكثر بقدرات الآلة الاصطناعية في اتخاذ القرار وحل المشكلات ودراسة الوعي لدى اعتمادًا على محاكاة السلوكات الذكية البشرية"(بلاي وبتباي ، 2008،ص 158)

ويمثّل الإسهام الحقيقي للذكاء الاصطناعي في تشكيل العرفانية من حيث تقديم مفهوم جديد للعقل البشري الّذي يعالج المعلومات والقيام بعمليات التفكير والتعلّم والتجريد والقدرة على الاسترجاع، وكذلك تقديم نماذج تحاكي ما يمكن أن يقوم به العقل البشري من عمليات عقلية، وذلك من خلال الاستفادة من تطبيقات البرمجيات الحاسوبية الّتي تحاكي العقل البشري في محاولة لفهم النصوص المعقّدة، ومن ثمّ التنبؤ بمواطن القوة والضعف للعقل البشري أثناء أداء هذه العمليات.

- الفلسفة العرفانية(Congnitive Philosophy): ترتبط الفلسفة بنشاط العقل وما ينتجه من علوم ومعارف، فهي "مرتبطة بحياة الإنسان من حيث هي تفكير ملازم أو مصاحب،

والفلسفة مستمرة ما دام هناك عقل بشري يفكر ويتأمّل"(شطوطي ، 2009،ص 16)، وتتأسّس الفلسفة على محور هام يعدّ ركيزة بحثها وهو العقل سواءً كان مصدرًا للمعرفة أو أداة لها، فكانت الأفكار الفلسفية أحد الركائز الّتي قامت عليها العلوم العرفانية، بل تعدّ الفلسفة أقدم الحقول في العلوم العرفانية، لأنّ جذور القضايا الّتي تحللها تعود إلى لفلاسفة الإغريق الّذين هدفوا بصفة عامة إلى الإجابة عن الأسئلة الأساسية حول المعرفة والعالم، فالحصول على المعرفة لا يكون إلّا "بالتعويل على المنطق والعقل، وهذا النوع من التفكير لا يعتمد على معطيات الخبرة، بل ينطلق من الحقائق الأساسية"(حسين و حمدان،2022،ص 400) ، فالعرفانية تقوم على تبنّي هذا الاتّجاه من حيث الدور الفاعل للعقل، وهذا ما جعل من هذه الأفكار الفلسفية سبيلًا قامت عليه العرفانية لإعادة قراءة المشكلات ذات الصلة بالمعرفة وآلية التعامل معها، ومن أهمّ هذه الأفكار العلاقة بين العقل والمادة الّتي أثبت ديكارت أن بعض الأفكار متولّدة عن طريق الحواس، وبالتالي فوجود الأشياء المادية إلى جانب الفكر هو جوهر الذهن، وعدّه "قدرة ذهنية تمكّنه من الشك والإدراك والتخيّل، الرفض والنفي...، وهذا ما يجعله كلّما قال شيئا يفكّر... أي أنا روح أو إدراك أو عقل(سعودي ، 2023 ، ص12) ، وهذه الأفكار أّسّست لعودة النزعة العقلية في التحليل العلمي الّتي تأثّرت بها العلوم العرفانية في دراستها للذهن وعملياته المولّدة للمعرفة.

- اللسانيات العرفانية(Cognitive Liguistics): ساهمت اللسانيات في ظهور الاتجاه العرفاني إذ درست اللغة دراسة علمية ومنهجية، وبتطوّرها فتحت الباب على مصراعيه لفروع لسانية حديثة مستمدّة منها الأدوات الإجرائية ومعتمدة على مناهجها البحثية، فظهرت اللسانيات الصورية الاستنباطية الّتي عملت على صورنة اللغة، وبعدها اللسانيات الحاسوبية الّتي حاولت رقمنة اللغة... وغيرها من العلوم المنبثقة عن اللسانيات، ويتوّج في الأخير هذا المسار التحوّلي بظهور العرفانية.

وتعدّ جهود **تشومسكي** في مراجعته لكتاب **سكينر** عن السلوك اللفظي أهمّ الإسهامات في تشكيل اللسانيات العرفانية، حيث "دحض تشومسكي التفسير السلوكي لاكتساب اللغة من ناحية، ومن ناحية أخرى حينما أقرّ أن اللغة عبارة عن بنية معرفية ذات أساس بيولوجي أو فطري، وطريقة فهم وإنتاج واكتساب اللغة تتبع قوانين هذا النسق"(حمودة،2019، ص49)

إذن تتقاطع كلّ من اللسانيات والعرفانية في دراسة اللغة بأبعادها الثلاثة: ملكة اللغة بعدّها فضاءً طبيعيا ومصدرًا للعمليات الذهنية المستقبلية والمنتجة للفكر، والنحو لأنّه مجموع الثوابت الّتي يتكوّن منها الجهاز المنظّم للغة، وأخيرًا الاستعمال اللغوي بعدّه المجال الطبيعي الّذي تتمّ من خلاله عمليات التواصل والتفاعل الاجتماعية والثقافية.

واللغة حسب المنظور العرفاني لا تنفصل عن الخبرة الإنسانية الّتي تشكلها التجربة، والّتي تؤثّر في الطريقة الّتي تدرك بها الأشياء ونصوغ بها مفاهيمنا المختلفة، والتعبير عن الأشياء والمفاهيم هو بعد لغوي يتأثّر بكيفية إدراكها، فاللغة "ليست مستقلّة أو مغلقة على ذاتها،

ولا يمكن وصف نظامها الداخلي وصوغ قواعده وقوانينه بعزل عن البنية التصوّرية أو المعرفية الّتي تؤسّس لمبادئ عامة في الخبرة البشرية، وتؤثّر مباشرة في بنية المبادئ اللغوية المختلفة"(النجار ، 2004، ص39) .نظرت العرفانية إذن إلى اللغة على أنّا ذات بعد عرفاني من خلال البحث عن العمليات الّتي ينجزها العقل البشري كتركيب الجمل وربطها بدلالتها بما يتناسب مع السياق لإنتاج اللغة وتحقيق فعل التواصل.

وسيتم فيما يلي التفصيل في هذا العلم البيني؟

2. اللسانيات العرفانية(Cognitive Liguistics):

2. 1. محدّداتها: لم يظهر هذا الحقل المعرفي الجديد ضمن تيار اللسانيات العامة والمدارس اللسانية إلّا بعدما تلقحت اللسانيات في مجملها بحقل العلوم العرفانية والّتي ضمّت علم النفس واللسانيات والأنثروبولوجيا، وعلم الحاسب والفلسفة وعلم الأعصاب...، لذلك فاللسانيات العرفانية علم بيني وإحدى المقاربات الأكثر ابتكارًا وإثارة لدراسة اللغة والتفكير ظهرت حوالي عام1970، ويتمثّل موضوعها في "تقصّي البنية الذهنية والإدراكية وتنظيمها بتحليل الاستراتيجيات العرفانية الّتي يستخدمها البشر في التفكير وتخزين المعلومات وفهمها وإنتاج اللغة"(Bussmann, 1996, P197)، فهي تيار لساني حديث النشأة ينطلق من كون اللغة الطبيعية بنية معلومات مرمّزة موجودة في الذهن البشري دون استبعاد الجانب النفسي لها.

وظهرت اللسانيات العرفانية على يد جماعة أطلق عليها اسم « الآباء الروحيين» من مثل **لانغاكير، لايكوف، طالمي، فيلمور، فوكيني،** وهذه الجهود أسفرت عن ميلاد «برنامج بحثي واسع يتبنّى مقاربة تجريبية واسعة وغير قالبية أصبحت تسمّى اللسانيات العرفانية، وتوصف كحركة أو مشروع لأنّها ليست نظرية خاصة، ومع ذلك فهي مقاربة تتبنّى فئة مشتركة من المبادئ الموجّهة والافتراضات والتصوّرات الّتي تقود إلى سلسلة من النظريات المتنوّعة المتكاملة والمتداخلة"(سعودي ، 2023 ،ص 19)

شكلت اللسانيات العرفانية ثورة في الدرس اللساني المعاصر إذ اقتحمت مجاهيل الدماغ البشري وحاولت تفسير عملياته الذهنية المتحّكمة في المعرفة، لذلك فهي تنشد الإجابة المفصّلة عن الأسئلة الّتي تتعلّق بتعريف العقل وكيف يعطي الفرد معنى لتجربته، أي البحث عن آلية اشتغال الذهن البشري، وفي محاولة لتحقيق أهدافها الأساسية المتمثّلة أساسًا في:

1- تفسير معالجة الدماغ للمعلومات وللغة من خلال رفض فكرة استقلالية النظام اللغوي لاسيما ما ذهب

إليه تشومسكي أن تطوّر اللغة عند الطفل يأتي كلّيا من نموذج نحوي مستقّل في الدماغ، ويبنى بالكامل

بتعليمات خاصة به، فترى اللسانيات العرفانية أنّه لا انفصال بين المعرفة اللغوية والتفكير بشكل عام.

2- افتراض نظريات مبدئية حول الطريقة الّتي يحوّل بها ذهننا الأفكار والحسابات إلى صور حقيقية بطريقة استنباطية، وأطلق **جاكندوف** على الأوّل اسم الذهن الحاسوبي، أمّا الثاني فهو ذهن ظاهراتي، ومعرفة التداخل بين الذهنين هو هدف معظم فروع العرفانية بما فيها اللسانيات العرفانية. (أنطوفيتش ،ص 105)

إذن قامت اللسانيات العرفانية على دراسة الأبعاد الإدراكية في عملية التواصل اللغوي، ودراسة كيفية اشتغال الدماغ البشري في معالجة المعلومات واكتساب اللغة.

2. 2. مجالات اللسانيات العرفانية وافتراضاتها:

استندت اللسانيات العرفانية في معالجتها للغة على المكوّن الدلالي التصوّري متجاوزة بذلك المكوّنات اللغوية الشكلية المعهودة من صرف ومعجم، فالتوجّه العرفاني للسانيات لا يتوقّف عند رصد الأبنية اللغوية الخارجية، بل يتعدّى ذلك إلى الذهن والعقل البشري وكيفية تعامله مع ما يحيط به من موجودات من خلال التركيز على المستويات الثلاثة التالية في محاولة لفهم طبيعة المعرفة الإنسانية: (الوحيدي، 2018،ص 173)

- المستوى البيولوجي(Biological): ويكون فيه النظر إلى الدماغ بوصفه شبكة نظامية مكوّنة من ملايين العصبونات(النيرونات) المرتبطة، والّتي تشكل خلفية البناء الفكري للذهن الإنساني.

- المستوى الإدراكي(Perceptual): ويتأسّس هذا المستوى حول البحث عن كيفية تمثيل المعرفة الموجودة في العالم، وبلورتها بصورة مفاهيم داخل الدماغ وهو الأمر المعروف بـمصطلح التمثيلات الذهنية.

- مستوى المعالجة المعلوماتية(Information Processing): وهو المستوى الّذي ينظر إلى الفكر بوصفه نسقا مجرّدا لمعالجة المعلومات، حيث يكون التركيز على دراسة كيفية انتقال المعلومات داخل الشبكة العصبية الّتي توصف بأنّها نسق وظيفي، من دون الإحالة إلى ما تمثّله المعلومة خارج الدماغ.

ولا يمكن البحث في مستويات إنتاج المعرفة الإنسانية بمنأى عن فهم الظاهرة اللغوية وسيروراتها العرفانية وتداخلها القوي المتشابك مع العلوم الأخرى، فلا يمكن دراسة العقل من دون بحث في اللغة، إذ تشكّل اللغة الجهاز المركزي الرابط لمجمل العلوم العرفانية.

يمكننا رصد مجالات اللسانيات العرفانية التي تمثّل أركان مقاربتها المتخصّصة وهي: (طعمة وآخرون ، 2019،ص 17)

1- التركيب والبناء في الذهن والمعرفة وعمليات التفاعل بينهما.

2- النماذج التمثيلية للمعرفة.

3- موارد المعرفة ومصادرها.

4- الأجهزة المولّدة للمعرفة.

وهذه الأركان جعلت من اللسانيات العرفانية حقلا مناهضا للنزعة اللسانية التوليدية الّتي تقوم على مركزية التركيب وتهميش المعنى، فجاءت ليكشف عن العلاقة الداخلية الوطيدة بين اللغة وبقية الملكات العرفانية، وهذا ما أسّس لفرضيات كبرى قامت عليها النظريات اللسانية العرفانية:

1- اللغة الإنسانية ليست قدرة عرفانية منفصلة عن غيرها من القدرات، بل أنّها تمثّل مركز شبكة عرفانية عصبية لا حدود لها.

2- القواعد اللسانية هي نوع من التجريد، يقوم بمفهمة Conceptualization أي بعمليات بناء مفاهيمية وتصوّرية لأجل مساعدة الذهن على التحصيل والفهم والتواصل، فالنحو إذن "عملية خلق للمفاهيم ممّا يعني أنّ اللغة رمزية بتطبيقها" (بوفنا ، 2012،ص 22)

3-تنبثق المعرفة اللغوية من خلال استعمال اللغة وتداولها، فالفرضية الأولى عارضت فكرة النحو التوليدي المعروفة القائلة أنّ اللغة ملكة أو وحدة عرفانية مستقلّة(فطرية في الواقع) منفصلة عن القدرات العرفانية غير اللسانية، أمّا الفرضية الثانية فإنّها تنفي دلالة شروط الصدق أين يتمّ فيها تقييم دلالة اللغة الواصفة (Metalanguage) بمصطلحات الصدق والكذب المرتبط بالعالم "ويتعارض المبدأ الثالث مع الاتجاهات الاختزالية في كلّ من النحو التوليدي ودلالة شرط الصدق، إذ يتمّ البحث عن تعميم تجريد تمثّلات الشكل النحوي والمعنى، والعديد من الظواهر النحوية والدلالية الّتي ترجع إلى الحد الخارجي"(سعودي ، 2023 ،ص 20)

وبهذا يؤكّد روّاد اللسانيات العرفانية في كلّ مرة على التمثيلات الذهنية ردّا على النحو التوليدي الّذي يفصل بين الملكة الإدراكية والقدرات الإدراكية.

2. 3. مبادئ اللسانيات العرفانية: ذهب لايكوف إلى أنّ اللسانيات العرفانية تقوم على مبدأين أساسين هما: مبدأ الالتزام بالتعميم، ومبدأ الالتزام المعرفي، وهما مبدآن أقرّهما لايكوف سنة 1990.

- **مبدأ الالتزام بالتعميم:** ويتعلّق هذا المبدأ بالاستقلالية المنظومية للغة لذلك دعت اللسانيات العرفانية إلى دراستها في تفاعل منظوماتها الصوتية والصرفية، التركيبية والدلالية، المعجمية والتداولية...، وتؤكّد على تكاملها واشتغالها معا، فاللسانيات العرفانية تبعًا لمبدأ التعميم لا تعدّ "القوالب والأنساق الفرعية للغة

منظّمة بكيفيات مختلفة، أو حتّى على اعتبار أنّ هذه القوالب والأنساق الفرعية موجودة أصلًا"(عابي ، 2021،ص 35) ، لذلك دعا العرفانيون إلى التعامل مع التركيب و الصواتة والدلالة على أنّها متمايزة مفهوميا إذ تقتضي دراسة التنظيم التركيبي للغة مثلًا دراسة التنظيم الصوتي.

- مبدأ الالتزام المعرفي: عرّفه الأزهر الزناد قائلا: "يتمثّل في السعي إلى إقامة حقائق لغوية توافق الحقائق العرفنيّة الثابتة في سائر العلوم العرفنيّة، ويندرج هذا الالتزام اندراجا طبيعيا في

الالتزام السابق إذ لا يستقيم تعميم في شأن اللغة ما لم يستقيم من زاوية عرفنيّة عامة"(الزناد ، 2010، ص33)، فمبادئ البنية اللغوية لابدّ أن تعكس المبادئ الّتي تقوم عليها المعرفة البشرية وباقي العلوم من ذكاء اصطناعي وعلوم عصبية...، فاللسانيات العرفانية لا تقوم على تصوّر قالبي للذهن ولا تقول بوجود قالب محدّد وخاص باللغة، بل ترى أن النسق اللغوي يعكس المبادئ نفسها الّتي تبنى عليها الوظائف المعرفية العامة، وقد أجمع اللسانيون العرفانيون أنّ اللغة هي محور دراستهم، وأنّ جميع البنى اللسانية قد جاءت لتخدم المعنى والدلالة، والّتي تعدّ المحور الرئيس في مقارباتهم العرفانية.

2. 4. نظريات اللسانيات العرفانية: تستند اللسانيات العرفانية على مجموعة من النظريات أهمّها:

- نظرية الاستعارة المفهومية(Conceptual Metapha Theory (CMT): لقد ارتبطت الاستعارة قديما بالأدب بعدّها الجانب الجمالي الإبداعي الّذي ينحصر في اللغة فقط، وبظهور كتاب « الاستعارات الّتي نحيا بها» الّذي ألّفه كلّ من **لاكوف وجونسون**، دحضا فكرة أنّ الاستعارة مقتصرة على اللغة والألفاظ، بل هي متعلّقة بسيرورات الفكر البشري، فنقلت من شكلها اللغوي(العبارات اللسانية) إلى العمليات الذهنية بعدّها طريقة للتفكير، بحيث تعمل مع بقية العمليات العرفانية على إدراك تجريد العالم الخارجي وتجسيد المفاهيم المجرّدة، وبالتالي بناء أنساق تصوّرية جديدة.

أضحت الاستعارة إذن "أداة مفهمة وتمثيل وتصوّر يعمّ مظاهر الفكر بما في ذلك المفاهيم المجرّدة، وهي في النظرية الحديثة إسقاط عابر للمجالات في النظام المفهومي، وما العبارة الاستعارية إلّا تحقّق سطحي لتلك العمليات الّتي يجري بها الإسقاط المفهومي في الذهن"(حسين و حمدان،2022،ص 302)

تعدّ الاستعارة التصوّرية ثمرة اللقاء بين الدراسات اللسانية والدراسات المعرفية الأخرى، فهي آلية عقلية إدراكية ترصد كيفية عمل العقل لإدراك العالم من حوله واكتساب معارفه وإنتاج المعنى، بله جاءت فكرة الاستعارة التصوّرية لتوحّد بين العقل والخيال، وهذا ما يؤكّده **لايكوف وجونسون** قائلين: "إنّها من الأدوات المهمّة جدّا في محاولة الفهم الجزئي لما لا يمكن فهمه كلية أحاسيسنا ومشاعرنا، تجاربنا الجمالية وسلوكاتنا الأخلاقية، وعينا الروحي و مجهودات الخيال هته لا تخلو من بعد عقلي، فهي تستعمل الاستعارة وتستخدم ما هو عقلي"(لايكوف و جونسون ، 2009،ص 186)

لقد أعاد **لايكوف وجونسون** النظر في مفهوم الاستعارة التقليدي، واعتمدا على مبدأ أنّ بنيتنا التصوّرية في جزئها الأكبر استعارية، فتصبح الاستعارة بذلك آلية ذهنية تؤدّي وظيفتين: (عشير ، 2006،ص 117)

-الأولى: وظيفة ذهنية مرتبطة بالعمليات العرفانية الّتي تركز على التجربة والتفاعل الّذي ينشأ من خلال القدرات الذهنية والحسية.

- أمّا **الوظيفة الثانية** فتتمثل في تحقيق التواصل اليومي، فقد كسرت حدود الاستعمال البلاغي الجمالي إلى التداول اليومي المعتاد.

لم تعد الاستعارة في نظر العرفانيين ظاهرة لغوية ناتجة عن استبدال أو عدول عن معنى حرفي إلى معنى مجازي، بل هي عملية إدراكية كامنة في الذهن، تؤسّس أنظمتنا التصوّرية، وتحكم تجربتنا الحياتية في مختلف المجالات "فأينما وليت وجهك تجد تجلياتها في اللباس وفي العلامات التجارية، وفي الإشهار وإشارات المرور، في الرسوم والأساطير والأفلام، في السياسة والثقافة والفن و الاقتصاد..." (البوعمراني ، 2009،ص 126)

تنشأ الاستعارة التصورية من مجالات هي:

1- المجال المصدر: ويقصد به المستعار أو المشبه به في الفكر البلاغي، أمّا عرفانيا فيستخدم المجال المصدر كمجال تصوّري لفهم مجال تصوّري آخر يطلق عليه المجال الهدف، و "تكون المجالات المصدر نمطيا أقلّ تجربة أو أقل تعقيدًا من المجال الهدف، مثلا في الاستعارة التصوّرية(الحياة سفر) ينظر للمجال التصوّري للسفر بصفة نمطية على أنّه أقل تجريدًا وتعقيدًا من المجال التصوّري للحياة"(بن دحمان ، 2015،ص 186) وهو المجال الهدف.

2- المجال الهدف: هو المجال المستعار له، تكون المجالات الهدف "أكثر تجريدًا من المجالات المصدر، ففي الاستعارة التصويرية(الحياة سفرا) ينظر إلى المجال التصوّري للحياة على أنّه أكثر تجريدًا وتعقيدًا من المجال التصوّري للسفر"(بن دحمان ، 2015،ص 187)

وتقوم الاستعارة التصورية من حيث بنيتها على الإسقاط بين المجالين عنصرًا بعنصر، أو مكوّنا بمكوّن بما يسمى بإسقاط المعارف المتعلّقة بالمجال المصدر على المعارف المتعلّقة بالمجال الهدف، والإسقاط الاستعاري هو "جملة من التناسبات الثابتة ما بين الوحدات في المجال المصدر والوحدات في المجال الهدف"(عطية ، ص64)، ولا يمكن فهم المجال الهدف إلّا من خلال عناصر المجال المصدر إلّا من خلال العودة إلى هذه التناسبات / التوافقات التصوّرية الرابطة بين المجالين.

وبالعودة إلى المثال السابق الحياة سفر، فإنّنا سنتعامل مع الحياة بعدّها رحلة لها طريق وأمكنة وبداية ونهاية، لذلك يتمّ العودة إلى المصدر وهو السفر لفهم الهدف وهي الحياة.

ويمكن أن نحوصل الاستعارة التصورية بأبعادها المختلفة في كونها:

1- الاستعارة ليست من أمر اللغة، وإنّما هي ظاهرة ذهنية قبل أن تكون لغوية، فالاستعارة ذات طبيعة تصويرية، وما الاستعارة اللغوية إلّا تجلّ من تجلياتها.

2- لا تقوم الاستعارة على التشبيه وإنّما على التشكيل، وهي بهذا المفهوم "ليست حكرًا على الأدب وإنّما هي من الأمور الّتي نحيا بها جميعًا"(الحراصي ، 2002،ص 20)

3- إنّ نظامنا التصوّري قائم في جزء كبير منه على أسس استعارية.
4-المشابهة ليست قائمة في الأشياء بل في تفاعلنا معها.
5- الاستعارات الّتي نحيا بها هي نتاج تصوّراتنا الثقافية، وأي استعارات خارج هذه التصوّرات الثقافية التجريبية قد تؤدّي إلى تعطيل عملية الفهم والتواصل.
6- المتشابهات تخلق استعارات جديدة، وهي قائمة على تفاعل أجسادنا مع الأشياء في الواقع.

- نظرية العرفنة المجسدنة(الذهن المجسدن) ECT) Embodied Cognition (Theory) : يعرّف عطية أحمد نظرية الجسدنة بأنّها "جملة الآليات العصبية و العرفانية الّتي تمكّننا من الإدراك والتنقل فيما يحيط بنا، وهي الآليات نفسها الّتي تنشئ أنظمتنا المفهومية وطرق التفكير عندنا وإذا كان الأمر كذلك يكون من الضروري فهم النظام البصري، والنظام الحركي والنظام العصبي بترابطه فهما دقيقا لكي نفهم الذهن"(عطية ، ص71)

وقد تطوّرت فكرة الجسدنة واستقامت نظرية متكاملة وتوسّعت العناية بها في سائر العلوم العرفانية والعصبية، وارتبطت أكثر بالتجزئة الإنسانية وتفاعلها مع الجسد والذهن البشري، إذ يعدّ مفهوم التجسد مركزيا في اللسانيات العرفانية، ويعني "تأكيد أهمية التجربة الإنسانية ومركزية جسد الإنسان وبنيته المعرفية النوعية، وأنّ الذهن البشري ومن ثمّة اللغة لا يمكن دراستها بمعزل عن تجسيد الإنسان"(الزناد ، 2010،ص 6)

وهذا يتّفق مع مبدأ أنّ النظام المفهومي البشري هو نتاج للتجربة البشرية الّتي تحرّك الإنسان وتسمى بالتجربة المجسّدة الّتي تتيح تصوّرا نوعيا للعالم بالنظر إلى طبيعة جسد هذا الإنسان الفيزيائي الخاص.

ونمثّل للتجربة المجسدنة بما ذهب إليه إبراهيم الشمري في حديثه عن مجال اللون: "بينما يملك النسق
البشري ثلاثة أنماط من القنوات اللونية، فإنّ ذواتا أخرى تملك عددًا مختلفا، مثال ذلك أن النسق البشري للأرانب يستخدم قناتين لونيتين، بينما يستخدم الحمام أربع قنوات فامتلاك عدد مختلف من القنوات اللونية يؤّثر على تجاربنا مع اللون فيمكننا إدراك ألوان معيّنة من ألوان الطيف دون أخرى"(الشمري ، 2008،ص 07)، وقياسًا على هذا فإنّ طبيعة التكوين البيولوجي و الفيزيولوجي للإنسان تحدّد مظاهر تجربته، فالتصوّرات الّتي تصل إليها وطبيعة الواقع الّذي نفكّر فيه تابع لبنيتنا الجسدية وتنظيمها العصبي، فلا يمكننا أن نتحدّث إلّا عمّا يمكن إدراكه وتصوّره، وهي أشياء مشتقّة من التجربة المجسّدة.

ولا تظهر هذه التجربة المجسّدة ولا تعبّر عن نفسها في المستوى المعرفي إلّا من خلال خطاطات صورية أو تصوّرات أولية، ولا تكون هذه التصوّرات الخطاطية الصورية تجريدات فارغة وإنّما تستمد مادتها من تجاربنا الحسية الإدراكية.

وهذا يعني أنّه لا يمكن دراسة اللغة بعيدًا عن تجسيد الإنسان وبمعزل عن الذهن البشري، فكلّ تفكير هو محصّلة استعمالنا لتصوّرات معينة، وهذا يؤكّده **لايكوف وجنسون** في

كتابهما فلسفة الجسد "إنّ أي عملية تفكير تقوم بها مستعملًا تصوّرا ما تعني أنّ البنيات العصبية للذهن هي المسؤولية عن هذا التفكير، و وفقا لهذا فإنّ هندسة الشبكات العصبية لذهنك تحدّد تصوّراتك ونوع التفكير الّذي بإمكانك أن تقوم به"(لايكوف ، 2016،ص 53)

و نشأت فكرة الجسدنة موازية لمفهوم الاستعارة التصوّرية، هذه الأخيرة الّتي تقوم على تمثيل لمجال آخر، في حين الجسدنة ما هي إلّا تمثّل للمفاهيم المجرّدة على أساس الجسد كالغضب والفرح والحزن والخوف...

لذلك يمكن أن ندلّل على مفهوم التجسدن في كثير من سلوكياتنا الحياتية من مثل التوجيهات الّتي تقدّم لمن لا يعرف المسار أو الوجهة، كما يظهر أيضا في ردود الأفعال الّتي نبديها اتجاه بعض الأقوال كالتصفيق مثلًا عند الفرح.

- نظرية الخطاطة(Schema Theory): تمثّل الخطاطة إحدى الفرضيات الأساسية في المباحث العرفانية، وتشير إلى "شبكة تصوّرية تنظمّ نشاطنا الجسدي ومعارفنا الذهنية، وتؤسّس لضروب سلوكنا، وتحكم رؤيتنا المنسجمة للحياة والكون"(عطية ،ص 61)، أي أنّ الذهن مجسدن والفكر يشتغل على التجربة الجسدية الّتي تمّ الإشارة إليها في نظرية التجسدن وعلى الإسقاط الاستعاري بين المجال المادي والمجال التجريدي.

تمتاز الخطاطة بأنّها عالية التجريد، فهي بمثابة الوحدات التنظيمية الّتي تبوّب نشاطاتنا ومعارفنا المشتركة بين أحداث ووضعيات مختلفة وتختزنها ذاكرتنا، لذلك تقوم بدورين مهمّين وفقا لرؤية **جورج لايكوف:** "أولهما نّ الخطاطة مفهوم قابل للتمثل في ذاته من حيث بنيته وعناصره ومنطقه الأساسي الكامن فيه، وثانيهما: كونها جارية على سبيل الاستعارة لتنضيد المركب من المفاهيم"(الزناد ، 2010، ص171)

إنّها أبنية معرفية تتّسم بالعموم والتجريد، تمكّن الفرد من الاستدلال على طبيعة العلاقات بين العناصر، وبين الجزئيات والكليات...، كما تساعد في الوصول إلى النتائج من مقدّمات محدّدة.

تخضع الخطاطة إلى إجراء مشابهة بين شيئين لإنشاء شبكة تصوّرية في الذهن، يوضع فيها الشيء الأوّل مكان الثاني، ويتمّ التعامل معها باستبدال الأماكن، لذلك فالخطاطة بناء تصويري للأشياء في الذهن، يؤكّد عطية سليمان أنّ تكوين هذه الخطاطة الذهنية ملكة موجودة لدى كلّ البشر، ويمثّل لها بقوله: "فلو قلت لك صف لي منزل فلان، فإنّك تقوم بنقل هذا التصوّر إليّ مستعينا بصور مشابهة لما رأيت، فتتكوّن لدي صورة مشابهة له في ذهني قد تطابقه في الواقع أو لا تطابقه، لكنّها تمثّل صورة ذهنية مقارنة له، وقد تمّ هذا من خلال الخطاطة"(عطية ، ص65)، فالخطاطة إذن تصف عمل العقل في إدراكه لما يراه في شكل خطوط ومسارات ومراحل يمرّ بها، تقوم بنقل الصورة من الواقع إلى العقل، ثمّ يربط بينها وبين الصور الّتي يصنعها عن طريق الاستعارة، لذلك فهي تختلف عن الصورة الذهنية(

Mental Pictures): لأنّ هذه الأخيرة أغنى في التفاصيل، بينما الخطاطات أقل غنى في هذا الجانب حيث أنّها مرنة يمكن أن تستوعب أكثر من دلالة ومعنى.

وللخطاطات العرفانية أنواع ونماذج نذكر أهمّها:

1- خطاطة الميزان: هي شكل منظّم لتجاربنا الحياتية الّتي يحكمها مفهوم التوازن سواء الجسدي أثناء الوقوف أو التوازن في درجة حرارة الجسم أو التوازن الفيزيائي وفي المحيط الخارجي، وهذه "التوازنات يمكن أن تنسحب على مجالات أخرى أكثر تجريدًا، وذلك عبر الإسقاط الاستعاري، فنفس مفهوم التوازن هذا يمكن أن يسقط على ممارساتنا الأخلاقية والعاطفية والقضائية..." (البوعمراني ، 2009،ص 97)

2- خطاطة المسار: أو ما يسمّى بخطاطة المسلك، وتشير إلى المراحل الّتي ينتقل فيها العقل من فكرة بسيطة إلى معقّدة، أو من تفكير محسوس إلى آخر مجرّد وغيرها من المسارات المختلفة الّتي يخطوها الإنسان فيزيائيا وعقليا في عالمه، لذلك فمهما كانت هذه المسارات فإنّنا سنسك الأجزاء ذاتها المشكّلة للبنية العقلية الكلية عبر هذه المراحل: (عطية ، ص67)

1- المصدر أو نقطة الانطلاق.

2- الهدف أو نقطة النهاية.

3- الأماكن المتتالية الرابطة بين المصدر والهدف.

وتعدّ الأهداف(نقطة النهاية) غايات تتّجه إليها حركتنا الفيزيائية، فالنجاح مثلًا لا يكون إلّا بالقيام بأعمال فيزيائية متنوّعة للوصول إلى هذا الهدف، هذه الأعمال تخضع لمسلك أو مسار محدّد، وبذلك نفهم الغايات المجرّدة عن طريق مسارها الفيزيائي، فهناك تماثل بين ميدان المقاصد المجرّدة والميدان الفيزيائي، لذلك تلعب خطاطة المساردورًا هاما في بنية الحياة وتنظّم أفكارنا ومفاهيمنا وغاياتنا.

3- خطاطة الربط: تتجسّد خطاطة الربط استعاريا باحتوائها على روابط فيزيائية، وتتوسّع لتمسّ أيضا روابط مجرّدة كالربط بين النتائج والمقدّمات، وترابط الأحداث زمنيا...، وتعمل هذه البنى الداخلية على إضفاء المعقولية والمنطقية على الخطاطة.

- نظرية الأفضية الذهبية(MST) Mental Spaces Theory):

يشكّل مصطلح الفضاء الذهبي أساس نظرية فوكونيي(Fauconnier) الّتي طرحها في كتابه« الأفضية الذهنية- مظاهر من بناء المعنى في اللغات الطبيعية » والّذي حدّد أنّ مفهوم الفضاء الذهني متعلّق بالجانب اللساني المرتبط بملابسات الخطاب، يقول: "الأفضية الذهبية تبنى من بنى لسانية متمايزة لكنّها تتناسى في أي خطاب حسب الشروط التوجيهية للعبارات اللسانية"(Mapping in Thought and language, 1997, p92)

إذ تتعلّق بالمعلومات المنظّمة المرتبطة بالمعتقدات والأشياء، وتتكوّن من عناصر تمثّل الخلفية لها لتكوين صورتها، لذلك فالفضاء الذهني مفهوم عرفاني يعتمد على قوانين تركيبية و مقامية أو ثقافية واجتماعية تبني الدلالة، إنّه عالم قائم في الذهن ويضمّ المعلومات والتمثّلات الّتي يشكّلها الدماغ البشري عن العالم الخارجي، ويحيل بها عليه أثناء عملية التواصل، فإذا قلنا مثلا "يبدو زيد شابًا، في هذه الصورة ينبني فضاءان ذهنيان، أوّلها واقعي وهو شخص زيد في العالم الحقيقي الّذي استمدّ من التجربة والمقام ،وثانيهما: فضاء ذهني وهو الصورة الّتي تعرض ملامح شخص زيد، وفي كلّ واحد من الفضاءين يوجد(زيد) وهما نظيران"(الزناد ، 2010،ص 207)، وهذا يعني أنّ الفضاء الذهني يعنى بتفسير العلاقة بين دلالة الأبنية اللغوية المنجزة والآليات الذهنية الّتي تنتج تلك الدلالة، وتتأوّلها في إطار النشاط اللغوي الخطابي، فكثيرًا ما يعجز التحليل الشكلي التركيبي على تفسير الأبنية الّتي يشوبها اللبس، ممّا يجعلنا نعيد قراءة هذه الأبنية وتفسيرها بواسطة الفضاءات الذهنية التي تنتظم و تترابط في ضوء قرائن لغوية أو مقامية أو حتّى سوسيو ثقافية، فالانتقال من فضاء إلى آخر لا يتمّ إلّا في ضوء مجموعة من العمليات الذهنية الّتي تربط بين عناصر متباعدة دلاليا أو زمانيا أو حتّى مكانيا ينتجها المتكلّم انطلاقا من البنية اللغوية ويهتدي إليها المخاطب بالرجوع إلى تلك القرائن، إنّ الفضاء الذهني إذن هو "الوضعية الّتي ندركها مهما كانت درجة تعقيدها، وتضمّ مجموعة من العناصر والعلاقات الّتي تربط بينها، وعبر الخطاب تثار الفضاءات الذهنية وتبدع وتتغيّر بإضافة عناصر جديدة وعلاقات"(قريرة ، 2011،ص 129)

إنّ كلّ بنية مجازية أو كلّ موقف عبّر عنه لغويا يفترض وجود فضاءين على الأقل: أوّل واقعي يمثّل منطلق التفكير الذهني ويسمّى بالفضاء الأصل والفضاء الثاني هو فرع متولّد عن الأوّل وهو إمّا أن يكون واقعيا أو متخيّلًا أو مفترضا تمّ الانتقال إليه ذهنيا، ولتوضيح ذلك يسرد لنا لطفي الذويبي بعض الأمثلة: (الذويبي، 2016،ص 17)

1- ليت الشباب يعود يوما: فضاء ذهني متمنّى.

2- كنت أتمتّع بموفور الصحة: فضاء ذهبي واقعي مفقود.

3- أريد أن أصير طبيبًا: فضاء واقعي منشود.

4- لو كنت مكانك لفعلت كذا: فضاء ذهني افتراضي.

وهذا ما يؤكّد تعدّد الفضاءات واختلافها بحسب طبيعتها الدلالية وعلاقتها بالوقائع، وهذه الفضاءات قد تتكاثر في الجملة الواحدة أو النص فيكون لدينا فضاء أوّل ذهني الّذي سيولّد فضاءً ثانيا، وثمّ ينشأ عنه فضاء ثالث... إذ تترابط هذه الفضاءات فيما بينما بدءًا بالمستوى الأعلى الّذي يضم الفضاء الابن والفضاء البنت كما سمّاه **فوكونيي** لنتحصل في النهاية على شجرة من الفضاءات.

يعكس تعدّد الفضاءات الّذي أشار إليه فوكونبي مرونة المعنى وانفتاحه على عدّة احتمالات، كما يؤكّد تصوّره "ارتهان المعنى بما استقرّ عند المتكلّم من عمليات ذهنية كثيفة ومعقّدة، لكنّها تخرج إلى الإنجاز بأبنية نحوية منطقية منظّمة تحقّق التواصل مع المخاطب بواسطة مجموعة من العناصر تمكّن من بناء المعنى، وتبني الفضاءات، ويسميها فوكونبي العناصر البانية للفضاء"(Fauconnier,1994, 379)

تتمثّل هذه العناصر البانية للفضاء الذهني في: العنصر الأوّل ويسمّى قادح الإحالة(Trigger)، أمّا العنصر الثاني فهو هدف الإجابة(Target)، ويربط بين الفضاءين الأوّل والثاني ما أطلق عليه فوكوبني الرابط(Connecter).

في حين أنّ العناصر البانية للفضاء الجديد هي قرائن تركيبية بالأساس تربط بين القادح والهدف، وتنقلها إلى الفضاء الجديد، أو توجّهنا إلى فضاء بعينه. وقد تكون هذه العناصر وحدات تصريفية لقرينة الزمن، أو معجمية.

وتعبّر العناصر البانية عن معاني الفضاءات الجديدة كالآتي: (الذويبي، 2016،ص 18)

-التوهّم: يبدو، حسب، ظنّ، كأنّ...

-الافتراض: إذا كان، ف، لو...

-الاعتقاد: أعتقد أنّ، وفقا لــ، أتصوّر

-التمنّي: أتمنى أن، ليت، لو أن...

-الرجاء: لعلّ، عسى، أرجو...

ففي المثال: وجهي أجمل في المرآة: تعدّ القرينة(في المرآة) العنصر الباني الّذي ربط بين القدح(وجه الفتاة الحقيقي)، والهدف(وجهها الجميل المتخيّل أو المفترض أو المتمنّى).

وعلى هذا الأساس تعدّ نظرية الأفضية الذهنية منوالًا في العلاقة بين الدلالة و العرفانية، ينطلق من تفسير الظواهر المتواترة سعيا إلى إقامة نظرية أوسع في علاقة اللغة بالعرفنة، يكون فيها الكشف عن جوانب الاتصال بين النحو والتجربة والتعبير.

وعليه فإنّ نظرية الأفضية الذهنية "تعتمد في قراءة النصوص الأدبية وتحليلها ونقدها على التصوّر الموسوعي لدلالات المفردات والأساليب والتراكيب والصور والأخيلة المستخدمة في النص، والّتي تحيل القارئ إلى إطارات تحليلية تتّفق وسياق التواصل مع منتج اللغة الإبداعية، وذلك من أجل بناء المعنى"(حسين و حمدان،2022، ص400)

كما تجمع هذه النظرية بين الرؤية النحوية والرؤية التداولية، أي بين المعنى الحرفي ووصف آليات الإنشاء والتكوين، وبين الاعتناء بالقول وبالمعنى المقامي وتفسير آليات التأويل.

- نظرية المزج المفهومي(CBT)Conceptual Blending Theory): وتسمّى أيضا بنظرية الدمج التصوّري، وتعود إلى أفكار كلّ من فوكونيي وتيرنر(Turnar)، إذ وضّحا مبادئ هذه النظرية ومفاهيمها في كتابهما « فيما به نفكّر » وهي نظرية تفسّر آلية اشتغال الذهن البشري، فنظام تفكيرنا قائم على بناء الأفضية الذهنية والربط بينها، وهي آلية عرفانية تحكم تفكير الإنسان وتميّزه، والتفكير ذاته هو دمج بين فضاءات ذهنية مختلفة"(البوعمراني ، 2014،ص 17)

إذن ترتبط نظرية المزج المفهومي بنظرية الأفضية الذهنية ارتباطًا وثيقا، حيث تقوم نظرية المزج على خصيصة لغوية أساسها أن كلّ وضع واقعي أو ذهني يستعمل بنية لغوية تعبّر عنه وعن مختلف أفكارنا، ويطلق على هذه الخصيصة مصطلح الشمولية، حيث يستطيع كل فرد منّا أن يقوم ببناء المعاني وقت التواصل أو التفكير على شكل شبكة مفاهيمية متمازجة تمكّن من "خلق معانٍ جديدة ومفاهيم ومناويل ذهنية مستحدثة، وهو ما يمكن أن يطلق عليه طواعية: البناء المفاهيمي الّذي يمثّل ملكة ذهنية عرفانية لدى البشر عموما"(الزناد ، 2010،ص 223)

فأساس نظرية المزج هو الفضاء الذهني، أي البنية التمثيلية الّتي يبنيها المتكلّم أثناء التفكير أو الكلام، فالمعنى في الذهن يبنى من خلال مزج فضاءين ذهنيين ودمجهما ببعضهما، وينتج عن ذلك معنى يتجاوز العناصر المشكّلة لبنائه...، أي أنّ المعنى الناتج عن المزج يقوم على تفاعل فضاءين ذهنيين، وهذا التفاعل يخلق فضاءً جديدا.

تقدّم نظرية المزج المفهومي رؤى ثرية تعكس القدرة التخيّلية العجيبة للذهن البشري حيث "ترجع هذه النظرية إدراكنا للعالم وفهمنا له وبناءنا للمفاهيم وتمثلنا للمعاني المختلفة إلى قدراتنا في الجمع بين الأفضية المتباعدة، والمزج بينها وإعادة تركيبها على نحو يبدو عفويا سلسًا يسمح بتحديد الطاقة الإبداعية للذهن"(شعير ، 2020،ص 94)

وتفترض النظرية أنّ المعاني تولد عن طريق عمليات دمج معقّدة يكون الانطلاق فيها من فضاءين ذهنيين دخلين(Inputs)، وفضاء جامع(Generic Space)، وآخر مزيج(Space Blending)، وتكون على شكل شبكة تستند في علاقاتها وتفريعاتها على جملة من المبادئ والأسس والعمليات الّتي تؤدّي إلى إنشاء

ترابطات بين مكوّنات الفضاءين الدخلين، تسمح بعملية إسقاط جزئي تولد المفهوم الجديد، وهذا الإسقاط والمزج يكون على مستوى فضائي الدخل .

يمثّل الفضاءان الدخل مصدرًا للإسقاط إذ يمزجان على مستوى الفضاء المزيج ويوافقان الفضاء المصدر والهدف في نظرية الاستعارة التصوّرية عند **لايكوف وجونسون،** أمّا الفضاء الجامع(العام)، فهو "إطار خطاطي يجمع بين ما اشترك أي الدخلين""(شعير ، 2020،ص 93) ،ويضمّ العناصر الّتي يشترك فيها الفضاءان الدخل في أي لحظة من لحظات تطوير شبكة

المزج التصوّري، غير أن هذه العناصر المكوّنة للفضاء العام تتميّز بكونها ذات طابع عمومي خلافا لعناصر الدخلين.

وتتركّب في الفضاء المزيج مكوّنات مختلفة من الفضاءين الدخل لينشأ فيه معانٍ جديدة ليس لها أثر في الفضاءين الدخل عن طريق عمليات التركيب، الإكمال والبلورة.

-التركيب: ويتمّ فيه الجمع بين عناصر يجري إسقاطها في الفضاءين الدخل ممّا يؤدّي إلى إنشاء علاقات لم تكن موجودة بين الدخلين حينما كانا منفصلين.

تتمثّل عملية التركيب في "إسقاط محتويات من كلّ من الفضاءين الدخلين إسقاطا رأسيا في الفضاء المزيج، حيث ينصهر عنصران ينتمي الواحد منهما إلى فضاء دخل في عنصر واحد من الفضاء المزيج"(جديوي و مسعودي، 2023،ص 150)

- الاكمال: و تعرف هذه العملية أيضا باسم تكملة القالب ، و تنطوي على استنتاج الخطاطة أي تجنيد أطر خلفية لاستكمال التركيب، و تسمّى عملية استنتاج الخطاطة تكملة بسبب أنّ" البنية تعبّأ من أجل ملء أو تكملة المعلومات المسقطة من المدخلات من أجل اشتقاق البنية المنبثقة في الفضاء الممزوج" (بن دحمان، 2025، ص150)

وتتمثّل عملية الإكمال في إكساء النموذج التصوّري الّذي ينشأ في الفضاء المزيج بالتركيب أبعادًا محدّدة، وذلك بالعودة إلى المكتسبات السابقة.

- البلورة: ويطلق عليها أيضا إجراء المزيج لأنّها عملية يتم بموجبها إدخال تطوير إضافي على البنية المنبثقة بعد عمليتي التركيب والتكملة، من خلال عملية محاكاة من أجل تطوير بنية جديدة موسّعة فالمزيج يتطوّر بفضل البلورة الّتي تعدّ مواصلة للتركيب والإكمال، وهي بذلك تكشف عمّا يمكن أن يقود إليه المزيج من إنشاء معانٍ جديدة لا تتوفّر في الفضاءين الدخلين بل لا أثر لهما فيهما"(جديوي و مسعودي، 2023،ص 151) .

ويرتبط المزج في هذه الحالة ارتباطا وثيقا بالخيال أو المحاكاة العقلية التخييلية، وقد طوّر **فوكيني و تيرنر** أشهر حالاتها وهي الاستعارة الّتي تقرّب المجالات المتباعدة عبر الفضاءين الدخل، ولكنّها تستخدم الإبداع والخيال وتتطلّب جهدًا عرفانيا أكبر مقارنة بعمليتي التركيب والإكمال.

ولشرح نظرية المزج المفهومي و الأفضية الذهبية الأربعة، وكذا العمليات الّتي يستعان بها في عملية الدمج نستعين بهذا المثال الشهير: هذا الجراح جزّار.

فالمجالين الدخل يمثلان فضاءين مختلفين هما: فضاء الجراحة، وفضاء الجزارة، في حين ينتج عنهما فضاء المزج الّذي يعبّر عن فشل وعجز هذا الطبيب في أداء وظيفته المنوطة به، وجملة تلك السمات المشتركة بين الجراح الفاشل والجزار تجتمع في الفضاء الجامع وهي عملية تقطيع اللحم واستخدام أدوات الجزارة وعدم الرحمة.

أمّا عملية التركيب في هذا المثال فتنشئ فضاءً مزيجا يتحّد فيه الجزّار بالجراح بالرغم من أنّه لا يوافق الواقع، اشتغال الجزار في قاعة العمليات بأدواته وطريقته أمر مستبعد، ولكن ذلك لا يمنع من تصوّر هذا المشهد.

إذن تمّ بناء فضاء مزيج -من خلال عملية التركيب- على أساس انصهار الجزار في الجراح، وهذا يقودنا إلى تخيّل جزّار في غرفة العمليات، وتتدخّل عملية الإكمال هنا- انطلاقا ممّا نملكه من معارف مسبقة تمّ تخزينها في الذاكرة ليصاحب عملية التخيّل تفاصيل تتعلّق بهيأته وأدواته(كتقطيع اللحم باستخدام ساطور، ثمّ تسقط على هذا الجراح الّذي سيكتسب سمة غير منطوق بها هي الفشل.

وهذا المزيج يمكن تطويره وتوسيع تخييله بالاستعانة بعملية البلورة، أين يمكننا تصوّر الفضاء المزيج استكمالا لصورة الجزار الّذي حلّ في مجال الجراحة "أنّه يقطّع لحوم المرضى ويعرضها على الزبائن ويبيعها بمقابل"(جديوي و مسعودي، 2023،ص 151) فينشأ معنى جديد قائم على سمة مضافة إلى هوية الجراح وهي التجارة.

3. تعليمية اللغة العربية وفق المقاربة العرفانية:

3. 1. أسس تعليمية اللغة العربية عرفانيا:

استخدم مصطلح المقاربة العرفانية في التعليم أوّل مرّة وبشكل صريح سنة 1990 وعدّ التصوّر العرفاني أن تعلّم اللغة هو "بناء تدريجي للمعرفة يراعي العمليات العرفانية ويجعل محور الاهتمام حلّ المشاكل الحاصلة"(Huaying , 2016,p 28)، والمقصود بالعمليات العرفانية مختلف الأنشطة العقلية الّتي يقوم بها المتعلّم قصد إنجاز مهمّة تعليمية أو حلّ مشكلة ديداكتيكية، وتتمحور هذه الأنشطة الذهنية في خمس آليات اتفق العرفانيون حولها وهي: (بن حمودة،2019،ص 53)

1-الإدراك: وفي هذه العملية يساعد المعلّم والمتعلّم على جميع عدد من المعارف الحاصلة عند الثاني والمتّصلة بمعرفة جديدة يطلب إضافتها إلى المعارف القديمة.

2-التبيين: مرحلة يكتشف فيها المتعلّم الفروق المميّزة بين المعرفة الجديدة والمعارف القديمة بناءً على الخصوصيات الفارقة.

3-المفهمة: نشاط ذهني يمكّن المتعلّم من مراجعة شبكة معارفه الجديدة والقديمة بإعادة توزيع العلاقات بينهما.

4- التخزين في الذاكرة: يسجّل المتعلّم في هذه العملية جملة المعارف الحاصلة والمحقّقة على شبكة ذهنية في ذاكرته بعيدة المدى.

5-الآلياتية: وتأخذ هذه العملية طابع الآلية الأتوماتيكية، بحيث تستقرّ المعرفة الجديدة بالتساوي مع المعارف القديمة، فيصبح المتعلّم قادرًا على تفعيلها والتعويل عليها في بناء معرفة جديدة، أو في إنشاء عملية تواصلية سليمة...

هذه المراحل والآليات والأنشطة هي على العموم متعلّقة بفعل التعلّم والتعليم دون تحديد لما بتعلّم إن كان مادة أم لغة، لكنّ تركيزنا سيكون على عمليات اكتساب وتعلّم لغة بعينها سواءً أكانت لغة أمّا أو لغة ثانية.

إن اكتساب اللغة وتعلّمها عرفانيا يقتضي استعدادًا عصبيا ويتطلّب منّا فهما للوظائف العليا للدماغ كالإدراك والذاكرة وغيرها، فالمتعلّم ينتج لغة اعتمادًا على ما خزّن في دماغه، إذ أنّ ملايين الخلايا الدماغية تتلقّى هذا الكم اللغوي الهائل يوميا وتعالجه بشكل استبطاني ضمني لا سلوكي.

فتعلّم اللغة عموما واللغة العربية بشكل خاص عملية ذهنية "ترتبط بعمليات معرفية عقلية ومتداخلة معها، فلا تنفصل اللغة عن الإدراك والذاكرة والوعي والإحساس""(مويسي و بلبشير ، 2020، ص251) ، لذلك لابدّ من الوعي بالميكانزمات الذهنية الّتي ينجز بها العقل الفعل اللغوي وتقصي الفكر العرفاني الّذي حصر منطلقاته في تعليمية اللغة في نقطتين هامتين:

1-رفض كون اللغة ملكة فطرية إذ ربط السلوك اللغوي بالعمليات العقلية وبالنسق التصوّري، لكنّهم لم ينفوا الخصائص الفطرية الّتي تقوّي القدرات المعرفية البشرية.

2- رفض العرفانيون مبدأ مركزية التركيب الّذي تبنّته النظرية التوليدية التحويلية وبالتالي إلغاء المكوّنات الأخرى من صوت ودلالة، وهذا ما أكّده جاكندوف قائلا "أعتقد أنّ هذا الزعم القاضي بمركزية التركيب (Syntactocentrison) الّذي لم يقم عليه دليل، هو الّذي مثّل الخطأ الأكبر في مجال اللسانيات، فالمقاربة الصحيحة تقتضي بأن تنظر إلى البنية اللغوية من حيث أنّها ناتجة عن عدد من القدرات التوليدية المتوازنة والمتداخلة في الآن نفسه، قدرات صوتية وتركيبية ودلالية"(جاكنوف، 2025) ، فالعرفانية وجّهت اهتمامها نحو المعنى المبني على الإدراك الحسي والباطني لا على التركيب.

وتمرّ العملية التعليمية للغة العربية وفق النموذج العرفاني عبر المراحل التالية:

1- مرحلة التمثّل(Assimilation): تعتمد هذه المرحلة على الملاحظة العلمية اللغوية المقصودة للتعرّض للمدونة اللغوية المراد تعليمها لكلمة، نص، منطوق، مكتوب...) للتعرّف والإلمام بأبعاد هذه المدوّنة اللغوية وخصائصها وأعرافها الصوتية أو المكتوبة، ثمّ يتم "استدخال المنتوجات كلّها إلى المراكز العصبية المسؤولة عن تخزين هذه المثيرات، انتظار لمزيد من تعامل المخ مع هذه المستدخلات في عمليات أكثر تدريجا"(عصر، 2023، ص137)

إنّ أساس هذه المرحلة هو الملاحظة أي التركيز على البنية الشكلية للنص اللغوي المراد تعليمه.

2- مرحلة التلاؤم(Adapting): وتعني هذه المرحلة "بتناول دماغ المتعلّم لمستدخلات التمثّل السابقة ومقولتها، من خلال ما لديه من أثار خبرات سابقة تمّ تخزينها وتكون موزّعة على عناصر الشبكة العصبية مشكلة بنية المعرفية عن العالم، إضافة إلى ربط عناصر

المقولات السابقة بمسمّياتها الاصطلاحية، وتقديم تعريف لكلّ مصطلح"(عبد المنعم ،ص 142) ، وهذا التعريف يقتضي ذكر كلّ الصفات والحدود والقرائن الجامعة لكلّ المعاني المندرجة تحت هذا المصطلح.

تعتمد هذه المرحلة اعتمادا كبيرًا على مقدّمة الفص الجبهي بعدّه العضو المسؤول عن التذكّر، وفيها يتمّ تقديم أسماء الفئات المستدخلة، و ذلك بعد أن تمّ التعرّف على القرائن الشكلية في المرحلة السابقة.

3-مرحلة الاستيعاب(Accommodate): يستدلّ من خلال هذه المرحلة على "تمام المرحلتين السابقتين، وما تضمّنهما من عمليات(الملاحظة، المقولة والتجويد)، وهي تتجسّد بشكل رئيس في النصوص الموازية الّتي ينتجها المتعلّم""(عصر، 2023،ص 141) ، أي أن يتمكّن المتعلّم عن استخدام المدوّنة الّتي وفّرتها المرحلة الأولى في إنتاج لغوي جديد يدلّ بلا شك على حصول فعل التعلّم وتحقّق أهدافه الّتي سطّرت.

ولتحقيق هذا لابدّ من اختيار الطريقة التدريسية المناسبة لهذه المراحل ولعلّ أفضلها: طريقة الحوار والمناقشة، استراتيجية لعب الأدوار، طريقة العصف الذهني... وغيرها.

3. 2. تعليمية النحو العربي عرفانيا (النحو العرفاني):

ثارت العرفانية على التصوّرات اللسانية السابقة الّتي فصلت بين المستويات المساهمة في بناء المعنى وتشكيله، من مستوى بنية الكلمة ومستوى بنية الجملة، مستوى المعجم ومستوى الدلالة، فاللسانيات التحويلية التوليدية مثلا جعلت من التركيب(النحو) عنصرًا مركزيا، ووسمت الصوت والدلالة بأنهما عنصران تأويليان وتفسيريان، أمّا العرفانية فساوت بين كلّ من التركيب والصوت والدلالة وجعلتها عناصر متعاضدة لإنتاج اللغة، وهي الفكرة الّتي انطلقت منها **لانغاكير(Langacker)** لناء نظريته الّتي سمّيت **بنظرية النحو العرفاني،** لذلك فقد دعا إلى تفسير القضايا اللغوية تفسيرًا يعتمد على الذهن وعلى العمليات العرفانية رادًا للنحو مكانته المركزية، إذ لم يقبل الفصل بين الإعراب والصرف، الدلالة والمعجم، فنظر إلى اللغة على أنّها "مجموعة من الأبنية الرمزية، فكلّ الوحدات اللغوية ما كان منها معجميا أو صرفيا أو تركيبيا هي عبارة عن وحدات رمزية تربط بين قطب دلالي وقطب فونولوجي، ولا يمكن الفصل بين مختلف مستوياتها"(بن غريبة ، 2010،ص 18) ، فلم يعد النحو آلية لضبط الجملة الأمثل أي نحو معياري صوري عزف عن إدراج المعنى، ليصير عند **لانغاكير** نحوًا حاملًا للمعنى أي "النحو ذو معنى لاعتبارين: أوّلا لأنّ عناصر النحو -مثل المفردات المعجمية، تملك معانٍ في حدّ ذاتها، إضافة إلى أنّ النحو يسمح لنا ببناء وترميز أكثر المعاني طولا لعبارات مركّبة كالجمل والجمل التابعةو الجمل التامة"(Vyvyan, 2006,p 114)

يرتكز النحو العرفاني على دمج المعنى مع بنيته، وما المعنى إلّا محصّلة المستويات النحوية والمعجمية والتركيبية مع المكوّن الدلالي النواة لهذه اللغة الّتي ينظر إليها العرفانيون

أنّها (اللغة) "نظام من القواعد المعيارية المخزونة في ذاكرة كلّ فرد متكلّم، وهي خاضعة لمعيار من معايير العرف الاجتماعي الّذي يشكّل الفرد جزءًا منه" (يحي، 2020،ص 88)، لذلك دعا **لانغاكير** إلى دراسة المعاني اللغوية بعدّها مجموعة من العمليات الذهنية التصوّرية وهذا ما يمثّل ثاني مبدأ بعد مبدأ دمج النحو والدلالة وما يسمى في العرفانية بمبدأ التصوير المتعلّق بالبنى التركيبية ذات الدلالة، فهي لا تكوّن شكلًا مستقلّا بنفسه وإنّما هي بنى رمزية تخدم المضامين المفهومية من حيث أنّها تشكّلها وترمز إليها"(الزناد، 2010،ص 99) ، فإنتاج البنى اللغوية و التعابير النحوية الدالة مرهون بصور وتصوّرات مركونة في ذهن المتكلّم ويريد إيصالها للمتلقّي، لذلك ارتبطت هذه البنى اللغوية بنظم معرفية مفتوحة المجال، والمعنى المعبّر عنه لن يعكس مطلقا المضمون الّذي تعلّق بموقف تمّ تصوّره فقط، بل يعكس الوجه الّذي كان به تنضيد ذلك الموقف وبناؤه، وهذا ما يسمى بالتصوير.

إنّ النظم المعرفية هي الفضاءات الذهنية الّتي يؤول داخلها المعنى، وهي واسعة لأنّ التأويل متعدّد، في حين المجال يتحدّد بالدلالة عليه بدقّة من خلال ترتيب الوحدات ترتيبًا خاصًا لتعكس كلّ محتوياته، وهنا يتمّ التخصيص في بناء الصورة، وهذا ما جعل النحو العرفاني يعتمد على مبدأ التصوير.

ويرتبط تعليم النحو بالعودة إلى تفسير وتوضيح العمليات الذهنية المتعلّقة بهذا الفعل، والّتي تحدث في مستويات ثلاثة: (طعمة وآخرون ، 2019،ص 16)

-المستوى البيولوجي: ويتمّ فيه التركيز على كيفية اشتغال الدماغ بوصفه شبكة نظامية مكوّنة من ملايين العصبونات(النيورونات) المترابطة، والّتي تشكّل خلفية البناء الفكري للذهن الإنساني.

- المستوى التمثيلي(الإدراكي): ويرتبط بالبحث عن كيفية تمثيل متعلّم النحو للمعرفة الموجودة في العالم الخارجي، وبلورتها بصورة مفاهيم داخل الدماغ، وهو ما يعرف بالتمثيلات الذهنية.

- مستوى المعالجة المعلوماتية: يتمّ التركيز في هذا المستوى على دراسة كيفية انتقال المعلومات داخل الدماغ بوصفها نسقا وظيفيا من دون الإحالة إلى ما تمثّله المعلومة خارج الدماغ، علمًا أنّ المعالجة المعلوماتية بنمطيها الإدراكي والرمزي(فهم الجملة وتمثيلها العصبي وتخطيطها الذهني) تحدث من خلال منظومة من المقولات والمفاهيم الّتي تتحكّم في تنميط المعنى وتمثيله ونمذجته داخل الدماغ.

3. 3. تعليمية النظام الإعرابي العربي عرفانيا (الإعراب الاستعاري وإعراب المحمولات أنموذجا-):

تبدأ العرفانية تعليمية الإعراب العربي بفكرة مفادها أنّ إسناد العلامة الإعرابية يعدّ أحد الأنماط التعبيرية الّتي تضطلع بها البنية السطحية، وتخضع هذا الإسناد إلى: الوظائف التركيبية، الوظائف الدلالية، الوظائف التداولية.

فيأخذ اللفظ(المركّب) العلامة الإعرابية الدالة على الرفع أو النصب بالعودة إلى وظيفته التركيبية (الرفع للفاعل والنصب للمفعول)، بينما النصب راجع للوظيفة الدلالية إن لم تكن وظيفة تركيبية " ويأخذ العلامة الإعرابية الدالة على الرفع في حال لم تكن له وظيفة تركيبية ولا دلالية، أي إذا كان مركّبا خارجيا مسندة إليه إحدى الوظيفتين التداوليتين(المبتدأ أو الذيل)" (طعمة وعبد المنعم ، 2021،ص 172)

ويشرح الباحثان أنّ تعليمية النظام الإعرابي عرفانيا لن تخرج عن عدّ اللفظ اجتماعا لموقع تركيبي ووظيفة دلالية، وتلق تداولي من خلال إيراد المثال التالي:

منح المعلمُ الطالبَ جائزةً صباحا.

حيث تسند حالة الرفع للمعلّم، والحالة الإعرابية النصب للطالب بناءً على وظيفتهما الدلالية، أمّا الوظيفة الدلالية الظرفية جعلتنا نسند النصب لـ صباحًا.

غير أنّنا سنجد نمطا آخر ساهم في تعميم نسق إسناد العلامة الإعرابية مبنّي على "وجه من الشبه في اقتضاء إسناد العلامة الإعرابية بين بنية تركيبية مصدر وبنية تركيبية هدف"(طعمة وعبد المنعم ، 2021، ص175) ، وهذا النمط يستثمر ما جاءت به العرفانية لاسيما في مفهوم الاستعارة العرفانية بين هذه البنى التركيبية المجرّدة من قيمة مضافة على مستوى تصنيف ظواهر الأداء الإعرابي، وذلك أدّى إلى ظهور نوع خاص من نوع خاص من هذا الأداء القائمة على العلاقات الاستعارية بين البنى النحوية المختلفة، ونمثّل لأنماط التفكير النحوي العربي المبني على تعميم نسق إسناد العلامة الإعرابية بناءً على وجه من الشبه الوظيفي: (طعمة وعبد المنعم ، 2021، ص177)

قولك ما رأيته منذ /مذ يومان، ويحلّل عرفانيا وفق وجهين:

1- إذا أردف(منذ /مذ) باسم مرفوع، فإنّ في إدراكه أمران:

أ- أمّا أن يدرك من خلال الإطار الحملي للمركب الاسمي(أمد انقطاع الرؤية)، فيكون معنى القول: مارأيته منذ /مذ يومان وتحيل إلى البنية التركيبية الهدف.

وقولنا: أمد انقطاع الرؤية يوميان فهي تمثّل البنية التركيبية المصدر وفي هذه الحالة تسند الوظيفة التركيبية(الفاعل) إلى المركب الاسمي(يومان) إذ إنّه الحد الّذي تقدّم من خلاله واقعة الأمد، وهو ما تسوّغ إسناد الحالة الإعرابية(الرفع) للمركّب(يومان).

ب- وإمّا أن يدرك من خلال الإطار الحملي لمركّب اسمي له دلالة ظرفية فيكون معنى القول ما يمثّله: مذ مضي يومان، فتسند الوظيفة التركيبية للفاعل أيضا للمركّب الاسمي يومان للسبب ذاته.

ب- أمّا إذا أردف(مذ، منذ) باسم مجرور فيمكن اعتبار المركب(منذ يومين) مكوّن من حرف جر واسم، مع النظر إلى أنّ حرف الجر قد حجب وجود الإعراب الوظيفي للاسم الّذي يليه.

إذ يكشف تنويع الأداء الإعرابي للاسم الواقع بعد(مذ/ منذ) عن طريق نوع من الأداء الاستعاري لأطر حملية معينة.

وقولنا مثلًا: محمد الحسن(الوجهُ / الوجهِ) الّذي يحتمل أربعة وجوه هي:

أ- تسند الوظيفة التركيبية(الفاعل) إلى الحدّ(الوجه) أي تأخذ الحالة الإعرابية الرفع.

ب- لابدّ أن تكون الجملة(محمد الحسن الوجهُ) مقيّدة بسمات صرفية محدّدة هي: إسناد مخصّص التعريف(أل) إلى المركب الاسمي(الحسن) وإلى المركّب الاسمي(الوجه).

جـ- يظهر في جملة(محمد الحسنُ الوجهِ) أنّ الإسناد الوظيفي للحالة الإعرابية قد حجب، ويرجع ذلك إلى استعارة التركيب البنيوي لـ:

- المركّب الإضافي(حسن الوجهِ)

- أو المركّب الاسمي(محمد الحسنُ الوجهِ) قياسًا على التركيب (محمد الضارب الرجلِ).

د- يعلّل إنشاء استعارة التركيب البنيوي للجملة(محمد الحسنُ الوجهِ) من منطلق أنّ "العرب إذا شبّهت شيئا بشيء مكّنت ذلك الشبه لهما، وعمّرت به وجه الحال بينهما"(السيوطي ، 2009 ،ص 218)

إذن توضّح الأمثلة السابقة نماذج من التفكير الاستعاري المبنية على وجه من الشبه الوظيفي أو البنيوي، وما حفّز بروز هذا التفكير العرفاني في الخطاب النحوي هو الحضور المسبق لإسناد الحالة الإعرابية الوظيفي للبنية المصدر، إضافة إلى إمكانية استخدامها في وجوه استعمال البنية الهدف.

النتائج والمناقشة

إنّ الاقتضاءات المسؤولة عن إسناد العلامة الإعرابية إلى المحمولات الاسمية أو الفعلية وفق الاتجاه العرفاني ستكون على النحو التالي: (طعمة وعبد المنعم ، 2021، ص183)

- بالنسبة للمحمولات الاسمية فتسند إليها إمّا الرفع أو النصب إذا ما توارد معها وحدات معجمية مخصوصة كـ: كان أو إحدى أخواتها:

1- في حال إسناد العلامة الإعرابية(الرفع)، فإنّ ذلك يرجع إلى:

أ- الإعراب السطحي وفيه يكون إسناد الحالة الإعرابية الرفع إلى المحمول بناءً على عدم ورودها يوجب نصبه.

ب- الإعراب التحتي والّذي تحدّده المخصّصات الزمانية والتركيبية، وهي مقولة الصيغة، مقولة الجهة ومقولة الزمن، وهنا يأخذ المحمول الاسمي حالة الرفع.

جـ- الإعراب الاستعاري أي الحمل على وجه من البنية والّذي تمّ التفصيل فيه سابقا- بين المخصصات الإحالية والتصوّرية للموضوع الرئيس للحمل، وللمحمول نحو قولنا: محمد مجتهد(محمد الموضوع)، (مجتهد المحمول) ويحيلان إلى الشخص نفسه وصوره.

2- في حالة إسناد النصب إلى محمول الجملة الاسمي، فيمكن النظر إلى الحالات التالية:

أ- الإعراب السطحي: حيث يسند الإعراب إلى المحمول بناءً على توارده مع رابط أو أداة نفي(ليس، أو ما) (المتوكل ، 2001،ص 339)

ب- الإعراب التحتي الّذي تحدّده المقولات(الجهة، الزمن، الصيغة) حيث ينصب المحمول.

جـ- الإعراب الاستعاري من خلال الحمل على وجه من الشبه بين البنية التركيبية للأفعال المتعدّية والفعل كان، إذ تحمل جملة كان محمد مجتهدا على وجه الشبه بـ: أكل الطفل تفاحة.

- أمّا بالنسبة للمحمولات الفعلية، فالفعل العربي لا يعرب إلّا إذا ورد مضارعًا فيأخذ حالة الإعراب(الرفع أو الجزم أو النصب)، ويعلّل إعرابه:

1- الإعراب السطحي حيث يعلّل إعراب الفعل المضارع بدخول وحدات جازمة أو ناصبة عليه، أو عدم دخولها فيسند إليه الرفع (المتوكل ، 2001،ص 341)

2- الإعراب القائم على إرجاعه لمخصص وجهي، ويكون الجزم والنصب حسب هذا الافتراض صرفة لاحقة تحقّق الوجه الحملي غير المتحق، والرفع بهذا المفهوم يصير لاحقة تحقّق الوجه الحملي المتحقّق.

3- الإعراب عن طريق الحمل على وجه من الشبه في: (طعمة وعبد المنعم ، 2021،ص 185)

أ- الإطار الحملي لاسم الفاعل وقيود توارده الدلالية الّتي تفترض على عناصر الجملة.

ب- إضافة إلى البنية الصرفية لاسم الفاعل.

جـ- توارده مع الإطار التركيبي نفسه الّذي يقتضيه اسم الفاعل في نحو قولنا:

إنّ زيدًا لقائم، وإنّ زيدًا ليقوم.

إذن تكشف تعليمية النحو -والإعراب تحديدًا- ضرورة أن يكون المعلّم قادرًا على جعل المتعلّم مدركا لـ:

1- أوجه التباين بين الحالة الإعرابية للكلمة وعلاماتها الإعرابية.

2- التباين بين منطق إسناد الحالة الإعرابية ومنطق إسناد العلامة الإعرابية الخاصة بكل حالة من الحالات الإعرابية.

3- كلّ ذلك سنعكس بلا شك على الجانب الأدائي للاستعمال اللغوي.

الاستنتاج والخلاصة

ساهمت العرفانية في إحداث نقلة نوعية في تعليمية اللغة العربية من حيث المراحل والاستراتيجيات والطرائق التدريسية، وأفضى ذلك إلى عدّ النحو نسقا عصبيا لا نسقا صوريا، وأخرجته من النظرة التقليدية الّتي فصلته عن المعنى والدلالة وجعلته رهين الشكلية والتجريد والصورية، وحصرته في المستوى اللفظي المادي، لذلك وسّعت العرفانية إلى ربط اللفظ بالمعنى المقصود إبلاغه بين أطراف الفعل التواصلي.

المراجع

الكتب:

الباهي حسان(2012)، الذكاء الاصطناعي وتحدّيات مجتمع المعرفة -حنكة الآلة أمام حنكة العقل-، منشورات إفريقيا الشرق، الدار البيضاء، المغرب.

بن دحمان عمر (2015)، نظرية الاستعارة التصويرية، والخطاب الأدب، دار رؤيا للنشر القاهرة.

بن غريبة عبد الجبار (2010)، مدخل إلى النحو العرفاني -نظرية لانقاكير-، مسكيلياني للنشر، تونس.

البوعمراني محمد (2009)، في علم الدلالة العرفاني، دار نهى، صفاقس، تونس.

بوفنا زينايدا (2012)، اللسانيات الإدراكية، تر: تحسين رزاق عزيز، منشورات بيت الحكمة، بغداد.

حسين علي و حمدان محمّد (2022)، استراتيجية مقترحة في ضوء اللسانيات العرفانية لتنمية مهارات النقد التطبيقي للنصوص الأدبية والكفاءة اللغوية الإبداعية، مجلة جنوب الوادي الدولية للعلوم التربوية، مصر.

الحراصي عبد اللـه (2002)،دراسات في الاستعارة المفهومية، مؤسّسة عمان للصحافة والأنباء والنشر، الأردن.

الزناد الأزهر (2010)، نظريات لسانية عرفنيّة، الدار العربية للعلوم ناشرون، منشورات الاختلاف، بيروت.

السيوطي(2009)، الأشباه والنظائر في النحو، تح: محمد الفاضلي، المكتبة العصرية، بيروت.

شطوطي محمد (2009)، المدخل إلى الفلسفة العامة، دار طليطلة، الجزائر.

طعمة عبد الرحمن و عبد المنعم أحمد (2021)، المقاربة العرفانية في تعليم اللغة العربية للناطقين بغيرها، كنوز المعرفة، الأردن.

طعمة عبد الرحمن وآخرون(2019)، دراسات في اللسانيات العرفانية -الذهن واللغة والواقع-، منشورات مركز الملك عبد العزيز الدولي لخدمة اللغة العربية، السعودية.

عبد المنعم أحمد ، كيف تتعلّم اللغات؟ نحو مقاربة عصبية عرفانية لتعلّم اللغة الثانية، دار كنوز المعرفة، الأردن.

العتوم عدنان (2012)، علم النفس المعرفي -النظرية والتطبيق-، دار الميسرة للطباعة، عمّان، الأردن.

عشير عبد السلام (2006)، عندما نتواصل نغيّر، منشورات إفريقيا للشرق، المغرب.

عصر حسيني عبد الباري (2012)، نحو نظرية في تعليم القراءة العليا(العامة والنوعية) رؤيا غير مقيّدة، المكتب العربي الحديث، الإسكندرية.

عطية سليمان أحمد، الاستعارة القرآنية والنظرية العرفانية، منشورات جامعة السويس، مصر..

قريرة توفيق (2011)، الاسم والاسمية والأسماء في اللغة العربية -مقاربة نحوية عرفانية-، مكتبة قرطاج للنشر، تونس.

لاكوف جورج (2015)، لا تفكّر في فيل الخطاب السياسي بين المحافظين والتقدّميين، تر: طارق النعمان، المركز القومي للترجمة، القاهرة.

لايكوف جورج و جونسون مارك (2009)، الاستعارات الّتي نحيا بها، تر: عبد المجيد حجفة، دار توبقال للنشر، المغرب.

لايكوف جورج و جونسون مارك (2016)، الفلسفة في الجسد وتحديه للفكر الغربي، ترجمة عبد المجيد جحفة، الكتاب الجديد المتحدة، ليبيا.

المتوكل أحمد (2001)، قضايا اللغة العربية في اللسانيات الوظيفية، دار الأمان، الرباط.

وبتباي بلاي (2008)، الذكاء الاصطناعي، تر: قسم الترجمة بدار الفاروق، منشورات دار الفاروق للاستثمارات الثقافية، القاهرة.

الأطروحات:

سعودي جهيدة (2023)، إشكالات تلقّي اللسانيات العرفانية في الكتابات اللسانية العربية المعاصرة -نماذج مختارة-، أطروحة دكتوراه، المركز الجامعي ميلة.، الجزائر.

المقالات:

باشا مليكة (2020)، دور علم النفس المعرفي في بناء أسس تعليمية الترجمة، مجلة المترجم، المجلّد 20، العدد01.

جاكنوف (2012)،جاكندوف ضد تشومسكي، مقال مترجم، تر: مصطفى الحداد، مجلة Philosophia، تاريخ النشر الإلكتروني:15 / 05 / 2007، تاريخ الإطّلاع: 05 / 08 /2026

جديوي روضة و مسعودي حفصة (2023)، الذهن المعرفن و المزج التصوري - مقاربة عرفانية للفكر و اللغة-، مجلة اللسانيات التطبيقية، جامعة الجزائر، المجلد7، ع 2.

حمودة رفيق (2019)، المبادئ العرفانية وتعليم النحو، مجلة اللسانيات العربية، مركز الملك عبد الله بن عبد العزيز الدولي لخدمة اللغة العربية، ع8.

حمو الحاج ذهبية (2014)، مدخل إلى التداولية المعرفية، مجلة كلية الآداب، الكوفة، ع9.

الذويبي لطفي (2016)، قدرة نظرية الفضاءات الذهنية على تأويل الأبنية اللغوية، مجلة العلامة، ع3.

شعير نجلاء (2020)، نحو قراءة جديدة للمشترك في ضوء نظرية المزج المفهومي، مجلة أنساق، جامعة قطر، المجلّد14، ع2.

الشمري غسان (2008)، عن أسس اللسانيات المعرفية ومبادئها العامة، مجلة أبحاث لسانية، جامعة محمد الخامس، معهد الدراسات والأبحاث للتعريب، ع26.

عابي سمير (2009)، اللسانيات العرفانية -المبادئ العامة والأسس-، مجلة العدوي، جامعة المسيلة، المجلد1، ع01.

عمراني آسيا (2020)، دراسة الاستعارة في ضوء اللسانيات العرفانية، مجلة كلية الآداب، جامعة الكوفة، المجلد12، ع45.

مويسي مخطار، بلبشير لحسن(2020)، حاجة تعليمية اللغة العربية إلى المنهج اللساني العرفاني -قراءة الأسس المقاربة العرفانية-، مجلّة إشكالات في اللغة والأدب، جامعة تامنغست، المجلد09، ع2.

ميهابو أنطوفيتش، مكانة علم الدلالة في العلوم العرفانية المعاصرة، تر: حليمة بوالريش، مجلة فصول، مصر، ع100.

النجار لطيفة (2004)، آليات التصنيف اللغوي بين علم اللغة المعرفي والنحو العربي، مجلة جامعة الملك سعود، السعودية، ع17.

الوحيدي محمد (2018)، اللسانيات وعلم المعرفة - اللغة وبنية المعرفة البشرية-، مجلة عالم الفكر، الكويت، ع175.

يحي صلاح الدين (2012)، نظرية النحو العرفاني -مستوى الثالوث من الأبنية-، مجلّة العمدة في اللسانيات وتحليل الخطاب، الجزائر،المجلد04، ع2.

المراجع الأجنبية:

Fauconnier (1994), Mental space, Aspects of meaning Construction in Natural Language, Combridge university Press.

Friendenberg(2006)، Congnitive science an introduction to the study of mind, Sage publication, California

Hadumod Bussmann(1996) Dictionnary of linguage and linguistics, Routledge London, 1ed.

Mapping in Thought and language(1997) , Cambridge University Press.

Vyvyan Evans(2006) Cognitive linguistics, an introduction, Edimburgh Univrsity Press.

Xiao Huaying (2016) Introduction d'une Approche cognitive en didactique du langue, Univ: Clermont Auvergne, Wuhanx, N:01.